

# الاستيطان في البلدة القديمة

د. وليد المدلل

أستاذ العلوم السياسية المشارك بالجامعة الإسلامية

## مقدمة:

يتناول البحث الجذور الأولى للاستيطان اليهودي في مدينة القدس، ويتتبع التوسع السكاني خارج أسوار البلدة القديمة، ويقف على حقيقة هذا التوسع ومسبباته وحجم الاستيطان اليهودي فيه، كما يتناول النتائج التي خلفتها حرب العام 1967 وأهمها وقوع المدينة بالكامل تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما مكن الاحتلال من فرض مزيد من السيطرة السياسية على كل المدينة وتحديداً البلدة القديمة.

كما يتناول البحث الدور الذي اضطلع به الحزبان الكبيران في إسرائيل في توطيد السيطرة على البلدة القديمة، ليس آخره إطلاق يد الجماعات اليهودية المتطرفة للسيطرة على المدينة بكافة الوسائل، وهو ما يهدد بضياح البلدة القديمة بمعالمها العربية والإسلامية والمسيحية الخالدة، ويراكم حقائق الأمر الواقع القائمة على القهر والغصب والاحتلال، وهو ما يهدد ولا شك فرص إحلال السلام في المنطقة.

\*\*\*

كان المهاجرون اليهود في النصف الأول من القرن التاسع عشر يتجمعون في المنطقة الجنوبية من مدينة القدس، لقربها من حائط البراق (المبكي) من جهة، وبسبب عدم وجود أماكن مقدسة للمسلمين أو النصارى في تلك المنطقة من جهة أخرى، كما أن المكان يطل على جبل الزيتون وهو المكان الذي يؤمن اليهود بأنه مكان البعث — بحسب ما جاء في سفر الرؤيا — وكان صغر حجم حارة اليهود محل تعليقات من قبل الرحالة الغربيين.<sup>1</sup>

خلال القسم الأكبر من القرن التاسع عشر حتى سنة 1948، كانت تلك الحارة محاطة بأحياء عربية؛ فكان إلى الغرب منها كاتدرائية الأرمن ومنازلهم التي تحيط بها، وكذلك

---

<sup>1</sup> مايكل دامبر، الاستيطان في القدس القديمة، مجلة دراسات فلسطينية، بيروت، العدد 8، خريف 1991، ص 32.

دير السريان ودير الموارنة اللذان يعيش حولهما أبناء تلكما الطائفتين، فضلاً عن أربع حارات صغرى مسماة بأسماء عائلات مسلمة تعيش هناك، وكان إلى الشمال من حارة اليهود، حارة الشرف، الممتدة على طول السفوح المشرفة على حارة المغاربة. وأما إلى الجنوب، فكانت تمتد أسوار المدينة وحارة أخرى للمسلمين تدعى حارة الميدون.<sup>2</sup>

وكانت حارة اليهود فضلاً عن تركزها في منطقة صغيرة، تتكون من منازل مستأجرة من أصحاب الأملاك العرب الفلسطينيين ومن الأوقاف الإسلامية.<sup>3</sup> ولعل انخفاض نسبة الملكية اليهودية سببه، كما يقول بن آرييه، وجود نظام إيجار "الحَزَكَا"، الذي وضع سقفاً محدداً للإيجار وبالتالي منع الملاكين العرب والقائمين على الأوقاف الإسلامية من استغلال الأسعار نتيجة الطلب المتزايد على السكن من قبل المهاجرين، مما جعل الإجارة ميسرة ومتاحة لليهود، وبالتالي لم تكن نسبة شراء العقارات مرتفعة.<sup>4</sup> ويقدر بنفينيستي أن نسبة ما كان يمتلكه اليهود من عقارات الحارة لم يتجاوز 20% سنة 1948.<sup>5</sup>

ونتيجة لاحتفاظ الحارة اضطّر المهاجرين الجدد للانتقال إلى الإحياء الإسلامية القريبة،<sup>6</sup> مثل تلك التي تقع شمالي حارة اليهود، عبر طريق باب السلسلة وعلى امتداد عقبة الخالدية وعقبة السرايا وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر، كان عدد اليهود

---

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 34؛

Abdul Latif Tibawi, The Islamic pious foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel (London: Islamic Cultural Centre, 1978).

<sup>3</sup> وليد الخالدي، الإسلام والغرب والقدس، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 31، شتاء 1991، ص 23-24: عارف العارف، مفصل تاريخ القدس، القدس: مطبعة المعري، 1986، ص 431-432. -

C. Ritter, The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic peninsula (Edinburgh, 1866) p. 191. cited in ;Tibawi, op. cit., p. 44.

<sup>4</sup> Yehoshua Ben Arie, Jerusalem in the 19<sup>th</sup> Century: The Old City (New York: St Martin's Press, 1984), pp. 377.

<sup>5</sup> Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City, op. cit, p. 239.

<sup>6</sup> Yehoshua Ben Arie, Jerusalem in the 19th Century: The Old City (New York: St Martin's Press, 1984), p. 315.

المنتقلين إلى هذه المنطقة من الكثرة بحيث باتت تعرف لدى الجالية اليهودية باسم سوق "الحبرون" لأن الكثيرين ممن هاجروا إليها قدموا من الجالية في الخليل.<sup>7</sup> كما حازت منطقة باب حطة على اهتمام المهاجرين اليهود، وهي وتقع بين الحائط الشمالي للحرم الشريف وباب الزاهرة (Herod's Gate) وقد حاول اليهود الأشكناز الإقامة في تلك المنطقة في بداية القرن التاسع عشر إلا أنهم لم يفلحوا، حيث تكلموا لغات أجنبية، كما أنهم لم ينجحوا في نسج علاقات حميمة مع العرب على غرار تلك التي كانت بين العرب واليهود السفارديم، الذين تكلموا العربية.<sup>8</sup>

كان النمط المعتاد للاستيطان اليهودي في تلك الحقبة يتمثل في إقدام حاخام على إقامة "كوليل"، أي حلقة دراسية، في بعض منازل الجالية أو في إقامة الكوليل بشكل مستقل، وهو عادة يشتمل على كنيس وبعض الوحدات السكنية المحيطة بفناء يتوسطها، بينما في الكوليل الكبير يضم — فضلاً عن ذلك — مكتبة وبعض قاعات التدريس.<sup>9</sup>

بالإجمال، يقول دامبر: "فقد كانت العلاقات العربية — اليهودية ودية، إن لم نقل جيدة، وكان ثمة نشاط تجاري واجتماعي ملحوظ، إذ استفاد أصحاب الدور والمتاجر الفلسطينيين من زيادة الدخل التي جاء بها المهاجرون اليهود؛ من ذلك أن حمام العين الواقع في أسفل عقبة الخالدية، والذي كان يديره الوقف الخالدي، كان يحتوي على

---

<sup>7</sup> Yehoshua Ben Arie, Jerusalem in the 19th Century: The Old City (New York: St Martin's Press, 1984), pp. 377;

ش. زخاريا، المنازل والمؤسسات اليهودية في الحي الإسلامي، المدينة القديمة، القدس، (بالعبرية)، القدس 1985، ص 7-9.

<sup>8</sup> Haleem Abu Shamseyeh, Settling the old City: the policies of Labour and Likus, Jerusalem file, issue 6, Autumn 1999, Institute of Jerusalem studies, p. 32;

روشيل دافيس، القدس العثمانية: نمو المدينة خلال الأسوار، في: القدس 1948: الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948، (تحرير) سليم تماري، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 28.

<sup>9</sup> See: Yehoshua Ben Arie, Jerusalem in the 19th Century: The Old City (New York: St Martin's Press, 1984), pp. 377-379.

"ميكفاؤت"، أي حمام يهودي لرواده من اليهود، وكانت قاعة الاستراحة ملتقى مهما للعلاقات الاجتماعية. وكان حمام الشفا القريب منه يحتوي أيضا على ميكفاؤت (وكان كلا الحمامين اليهوديين بإشراف الحاخامين).<sup>10</sup>

في أوائل القرن العشرين أدى توسع المدينة خارج الأسوار — كما مر معنا — إلى تخفيف تدفق اليهود الراغبين في الإقامة في الأحياء الإسلامية. كما أدى النزاع حول حائط البراق (المبكي) بين المسلمين واليهود 1920 و 1929،<sup>11</sup> ثم تصاعد التوتر السياسي في الثلاثينات (1933 و 1936-1939) وتعاضم المشروع الصهيوني، إلى تأزم العلاقة بين الطرفين، وترتب على هذا الصراع هجرة اليهود من الأحياء الإسلامية إلى الأحياء الجديدة خارج السور، إلى أن غادرت آخر أسرة يهودية تلك الأحياء في سنة 1936. وبالتالي فإن الأملاك اليهودية — على قلتها — في الحي بيعت أو أُجِّرت أو هُجِّرت.<sup>12</sup>

---

<sup>10</sup> مايكل دامبر، الاستيطان في القدس القديمة، مصدر سابق، ص 35.

<sup>11</sup> أنظر تقرير اللجنة الدولية فيما يتعلق بملكية حائط البراق في:

"The Status of Jerusalem", The Committee on the Exercise of the Inalienable Rights of the Palestinian People. United Nations, New York, 1997, p. 3.

<sup>12</sup> Yehoshua Ben Arie, Jerusalem in the 19th Century: The Old City (New York: St Martin's Press, 1984), p. 315.

توزيع الأملاك في مدينة القدس القديمة، بحسب الطائفة.<sup>13</sup>

| السنة               | ملكية الأجانب | اليهود | العرب |
|---------------------|---------------|--------|-------|
| 1918                | 2%            | 4%     | 94%   |
| 1948                | 2%            | 14%    | 84%   |
| 1948 (خارج الأسوار) | 2%            | 73%    | 25%   |

بعد حرب 1948، شغل اللاجئين الفلسطينيين من القدس الغربية وأنحاء أخرى من فلسطين الممتلكات الشاغرة التي كانت لليهود. في البداية، خضعت إقامتهم لإدارة الصليب الأحمر الدولي ثم لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين (الأونروا)، ولا سيما أولئك الذين حلوا فيما كان يعرف بحارة اليهود سابقاً.<sup>14</sup> وفي سنة 1950 وضعت هذه الممتلكات كلها، ومن جملتها تلك التي كانت في أنحاء أخرى من المدينة القديمة، تحت وصاية "حراسة أملاك العدو" التابعة للحكومة الأردنية، وكانت مهمة هذه المؤسسة الاستمرار في استيفاء الإيجارات وصيانة الممتلكات، إلى أن يتم التوصل إلى عقد صلح مع إسرائيل. وبعد استيلاء إسرائيل على المدينة القديمة سنة 1967، انتقلت صلاحيات الحراسة إلى "القيّم على أملاك الغائبين" الإسرائيليين وأقرت حقوق السكان العرب في

<sup>13</sup> تقرير، أمانة القدس، عمان، مايو 1997، ص 47.

<sup>14</sup> مقابلة أجراها مايكل دامير مع انطوني بكريجيان، مؤرخ ومسؤول رسمي سابق في الأونروا ومن المقيمين في المدينة القديمة، أجريت بتاريخ 3 أكتوبر 1989. انظر: مايكل دامير، الاستيطان في القدس القديمة، مصدر سابق، ص 34؛

Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City, op. cit, p.44.

مساكنهم، أو منحوا عقود إيجار ليقعوها وفقاً لسياسة البلدية في الفصل بين السكان، بدل إعادة تلك المساكن إلى مالكيها أو مستأجريها الأصليين من اليهود.<sup>15</sup>

بعد احتلال المدينة في يونيو 1967، تماماً بعد أربعة أيام وقبل نهاية الحرب، وقبل التوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار، بدأت المرحلة الأولى من فرض السيطرة والاستيطان، وتمثلت في السيطرة على حائط البراق (المبكي) وتوسيع الساحة الممتدة أمامه، وإعادة إعمار الحي اليهودي ووصل القدس الغربية بجبل سكوبس.

وكان أول ما بادرت إليه السلطات العسكرية الإسرائيلية إليه، قيامها بهدم حي المغاربة تدميراً شبه كامل وطرد السكان المقيمين فيه، وقد تم ذلك من أجل إنشاء ساحة واسعة للمصلين اليهود أمام الحائط الغربي للحرم الشريف، حائط البراق (حائط المبكي). بدأت أعمال المصادرة والهدم في الحادي عشر من يونيو 1967، حيث قامت السلطات الإسرائيلية بنسف المنازل في حي المغاربة قبالة الحائط الغربي للحرم الشريف، وتجريف الأنقاض بواسطة الجرافات. وقد منح السكان ساعتين أو ثلاث ساعات لمغادرة المكان<sup>16</sup> ليبلغ عدد المنازل التي هدمت 135، ومسجد البراق القديم ومسجد الأفضلي، وعدد من طرد 650 شخصاً.<sup>17</sup>

---

<sup>15</sup> مايكل دامبر، الاستيطان في القدس القديمة، مصدر سابق، ص 35-36.

<sup>16</sup> Abdul Latif Tibawi, The Islamic pious foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel (London: Islamic Cultural Centre, 1978), p. 35;

Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City, op. cit, p.306.

<sup>17</sup> روجي الخطيب، تهويد القدس، بحث مقدم للندوة العالمية بعنوان: "القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي - المسيحي"، والمنعقد في الرباط ما بين 19-21 أكتوبر 1993. بالرباط، إيسيسكو، 1995، ص 511؛

Abdul Latif Tibawi, The Islamic pious foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel (London: Islamic Cultural Centre, 1978). P. 114.(new)

في حين يقدر بنفينستي عدد الأشخاص الذين طُردوا ب 119 شخصاً.

أنظر: Benvenisti, the torn city, p. 305.

أعقب ذلك استيطاناً مبكراً شهدته البلدة القديمة، ففي شهر أكتوبر 1967، أعلن مسؤولو الاستيطان في الحي اليهودي في البلدة القديمة، أنه تم حتى ذلك الوقت إصلاح 19 غرفة ومدرسة دينية واحدة، وأن 40-60 غرفة أخرى ستكون جاهزة خلال ثلاثة أشهر. بيد أن وتيرة الاستيطان في هذا الحي كانت بطيئة بسبب الحاجة إلى وضع خطة شاملة وإجراء مسح للبيانات القائمة فيه، والأهم من ذلك، إخلاء العرب الذين يسكنون هناك بكثافة عالية جداً.<sup>18</sup>

ثم بدأت المرحلة الثانية في عام 1968 حتى أواخر السبعينات، حين بدأت السلطات الإسرائيلية بتوطين وتوسيع الحي، فقد قامت بإخلاء السكان العرب الذين بلغ عددهم حينئذ 6500 شخص بعد الإعلان عن بيوت الحي كأماكن مقدسة. وقد تم ذلك بمصادقة محكمة العدل العليا.<sup>19</sup> ولكن الجزء الأكبر من السكان العرب عادوا إلى بيوتهم بعد حل الحكم العسكري في المدينة وضمها إلى إسرائيل. وإزاء محاولات الأفراد والمؤسسات اليهودية خلق الحقائق الاستيطانية الواقعة في الحي دون مصادقة السلطات المسؤولة، أصدر وزير الداخلية الإسرائيلية أمراً بتجميد الاستيطان فيه لمدة سنة بهدف التخطيط والمسح.<sup>20</sup>

استأنفت السلطات الإسرائيلية عمليات الهدم والمصادرة في الحي وإخلاء سكانه العرب منه في أوائل عام 1969 لتشمل أحياء عربية آخر ملاصقة له هي: حي باب السلسلة، حي الباشورة، حي المغاربة.<sup>21</sup> ومع بداية عام 1971، كانت السلطات الإسرائيلية قد أخلت 3500 شخص من السكان العرب المقيمين في هذه الأحياء.<sup>22</sup> وبحلول عام

---

<sup>18</sup> Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City, op. cit, p. 253.

<sup>19</sup> Hodgkins, The Judaization of Jerusalem: Israeli Policies Since 1967, 1st ed. Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (PASSIA), 1996, p. 38.

<sup>20</sup> Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City, op. cit, p. 235.

<sup>21</sup> Da'var, 8/2/1973. For further details See page (herein).

<sup>22</sup> عال هامشمار، 1971/4/7. في حين المصادر العربية إلى أن العدد 6000 شخص. أنظر <http://www.arig.org> (20/5/2000) visited.

1977، لم يتبق من السكان العرب في هذه الأحياء سوى 20-25 عائلة،<sup>23</sup> أُنمت السلطات الإسرائيلية إخلاءها بحلول سنة 1980.<sup>24</sup> خاصة بعد رفض السكان العرب عمليات التعويض التي عرضت عليهم لتطوير المنطقة كـ "حارة لليهود"، فقد كانت التعويضات بخسة جداً من جهة،<sup>25</sup> كما أنه لم يكن من الجائز — بموجب الشريعة الإسلامية — القبول بالتعويضات أو أي إجراء من شأنه تغيير صفة وطبيعة الوقف<sup>26</sup> من جهة ثانية، خاصة وأن أملاك هذا الحي كانت أوقافاً وليست أملاكاً خاصة بالمقيمين فيها. هذا إضافة إلى أن القبول بالتعويضات فُسِّرَ على أنه اعتراف بالاحتلال، لذلك فقد رفض غالبية السكان ومتولي الوقف تلك العروض، لأسباب دينية ووطنية.<sup>27</sup> وقد ترتب على ذلك استخدام المزيد من أساليب الإكراه والتضييق لإخلاء الحي من سكانه الفلسطينيين تلك المحاولات التي حظيت بالتوثيق من قبل الصحافة العالمية، كما يقول دامبر.<sup>28</sup>

وللتغلب على تلك العقبة فقط سعت الحكومة الإسرائيلية إلى تعديل قانون أملاك الغائبين لسنة 1973، الذي أقره الكنيست لتسهيل نقل الملكية في حال رفض صاحب الملك قبول التعويضات.<sup>29</sup>

---

<sup>23</sup> Ha'aretz, 7/1/1977.

<sup>24</sup> Ha'aretz, 5/3/1980.

<sup>25</sup> See page ( ) in chapter two of the research. See also: Allison B. Hodgkins, Israeli Settlement policy in Jerusalem-Facts on the Ground, Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (Passia), p.47.

<sup>26</sup> لكنه يجوز في الشريعة الإسلامية استبدال ملك الوقف بملك مساو له في القيمة أو بملك يفوقه قيمة، وفي الحالتين فإن السلطات الإسرائيلية لم تتقدم بعروض كهذه. يشار هنا إلى أن البيع في حال الوقف الإسلامي بيع للمنفعة وليس لرقبة الشيء. سواء كان أرضاً أم عقاراً.

<sup>27</sup> Abdul Latif Tibawi, The Islamic pious foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel (London: Islamic Cultural Centre, 1978), p. 38.

<sup>28</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 38.

<sup>29</sup> For further details see chapter two, page (herein).

وبالتوازي مع تلك الأعمال تم إنشاء شركة إسرائيلية لترميم المنطقة المصادرة وتجديدها، باعتبارها حارة اليهود الجديدة. ولما سميت هذه الشركة باسم "شركة ترميم وتطوير حارة اليهود"، فقد كانت خاصة باليهود، ومسؤولة مباشرة أمام رئيس الحكومة و"لجنة شؤون القدس" الوزارية.

وقد صرح رئيس بلدية القدس السابق تيدي كوليك، محتجاً بقوله: "إن العرب من سكان المدينة سيخسرون بسبب هذه المصادرات الجديدة، ممتلكات لم تنزل في أيديهم منذ مئات الأعوام، وسيطرد أكثر من 6000 عربي من المدينة ويشتتون... بينما يحرم ما يزيد عن 700 عامل ورب عمل وسائل العيش ويكرهون على تضخيم صفوف المشردين... كما أن أصحاب العقارات والمرتقين من الأوقاف ممن اعتادوا الاعتياش من أجور عقاراتهم وأوقافهم، سيحرمون مورد رزقهم، ويجبرن على الانضمام إلى صفوف المعوزين، إن لم نقل اللاجئين".<sup>30</sup>

أعقب تلك الأعمال في البلدة القديمة، موجات من مصادرة الأراضي في المدينة ومحيطها، وفرض قائمة من السياسات الخاصة ضد السكان الفلسطينيين. مما أفسح المجال واسعاً أمام حركة الاستيطان في المدينة، خاصة في إثر نجاح عمليات الاستملاك الحكومية في توسيع حارة اليهود وتطويرها.

بدأت المرحلة الثالثة من الاستيطان في البلدة القديمة، خاصة بنهاية السبعينات وبداية الثمانينات، حين بدأ البعض من اليهود الإسرائيليين يهتم بالمنازل التي كان يشغلها اليهود سابقاً في الأحياء الإسلامية في محاولة لبعث الوجود اليهودي هناك. فقد فتحت مكتبة بن عزرا، في أسفل طريق الواد، ثم تعرضت في وقت لاحق لمحاولة إحراق وقد شهدت أواخر السبعينات إقامة يشيفا في الطبقة الثانية من مبنى يشيفا تورا حاييم، على طريق الواد. كما قام بعض اليهود السفارديم بمحاولات لاحتلال مجمع "بيت مغريم"،

---

<sup>30</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 37-38. Cited from: G. Dib and jabber, Israel's Violation of human Rights in the Occupied Territories: A Documented Report (Beirut: Institute of Palestine Studies, 1970), p. 176.

وهو نزل سابق في عقبة الخالدية كان ينزل يهود شمال أفريقيا فيه. إلا أن هذه المحاولات ظلت مبادرات متقطعة متفرقة لم تسترع إلا القليل من الانتباه، قياساً بأنشطة جماعات المستوطنين الإسرائيليين في الخليل، وفي أنحاء أخرى من الأراضي المحتلة.<sup>31</sup>

بيد أن فترة الثمانينات شهد ظهور عدد من الجماعات الدينية والقومية المتطرفة، المستلهمة من غوش إيمونيم والمؤلفة من أعضاءها المطالبين بزيادة الوجود اليهودي في الإحياء الإسلامية من المدينة، حيث تتسجم تلك الأهداف مع نظرتهم المسيحانية في استبدال قبة الصخرة والمسجد الأقصى بهيكل سليمان، وهذه الجماعات هي: عطيرت كوهانيم، تورا كوهانيم، وحركة إسرائيل الفتاة، التي ألفت في الثمانينات اتحاداً مالياً عرف باسم (عطرا ليوشنا) من أجل تملك عقارات في الأحياء الإسلامية. وكذلك جماعة شوفوبانيم، وهي أقل تنظيمًا وفعالية ولكنها أبرز اجتماعياً، وأكثر تطرفاً.<sup>32</sup>

ولعل خمول ذكر الجماعات الرئيسية الثلاث في عقد السبعينات. يعزى جزئياً إلى بداياتها المتواضعة، لكنه يعزى أيضاً إلى الهيمنة السياسية والأيدولوجية التي كانت لرئيس بلدية القدس، تيدي كوليك، ومن خلفه حزب العمل. فقد كان يعتقد أن التعايش بين العرب الفلسطينيين واليهود الإسرائيليين يمكن أن يصاب بموجب مبدأ "الفسيفساء" الذي يعترف بتنوع أنماط الحياة ويقر بالفصل السكاني بين مختلف الجماعات الدينية والعرقية.<sup>33</sup> وقد أتاح هذا المبدأ الغطاء الفكري لإجلاء الفلسطينيين عن حارة اليهود الموسعة، وإيقائهم خارجها لاحقاً، وخارج غيرها من أنحاء القدس الغربية، والتي كانت لديهم أملاك فيها. وقد مثل ذلك تعبيراً براجماتياً دقيقاً لمواقف حزب العمل فيما يتعلق بعدم الاستيطان داخل التجمعات العربية في الأراضي المحتلة.

<sup>31</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 24-34.

<sup>32</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 102.

<sup>33</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, op. cit, p. 117.

كما هدف كوليك من وراء هذه السياسة، أي الاستثمار الأقل في البلدة القديمة، تشجيع الأزواج اليهود للتوجه إلى المستوطنات الجديدة التي شرع حزب العمل في إقامتها في القدس الشرقية بعد العام 1967 مباشرة.<sup>34</sup> لذا فقد عرف كوليك خلال فترة ولايته التي تم بناء معظم المستوطنات فيها باسم "هيرولد الثاني".<sup>35</sup>

حملت انتخابات مايو 1977، حزب الليكود إلى السلطة ومعه حزب هتسيا والحزب القومي الديني، مما أدى إلى قلب المعادلة التي كانت قائمة في السابق والتي مثلت مشروع حزب العمل في الاستيطان، ليتم رفع شعار "أرض إسرائيل الكاملة"، وتكريس ذلك باستيلاء تلك الأحزاب على أربع وزارات وإدارات حساسة، هي: وزارة الأديان، وزارة البناء والإسكان ومكتب القيم على أملاك الغائبين، وإدارة أراضي إسرائيل.

وقد مثل الجدل القائم بين كوليك في بداية الثمانينات واليسار والمستوطنين ومن أيدهم الخلفية السياسية لمرحلة تحول جديدة ضعفت فيها مواقف حزب العمل وأطلق العنان للمستوطنين المتطرفين، خاصة بعد ظهور نجم الأحزاب اليمينية الكبرى مثل: الليكود، هتسيا، والحزب القومي الديني، بعد انتخابات 1977.<sup>36</sup>

وعلى الرغم من أن حكومة الليكود قد انخرطت بحماسة في دعم الاستيطان في الأراضي المحتلة والقدس الشرقية، أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، فإن موقف

---

<sup>34</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA. P. 88.

<sup>35</sup> Allison B. Hodgkins , Israeli Settlement policy in Jerusalem-Facts on the Ground, Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (Passia), p.69.

<sup>36</sup> كان من احد النتائج التي ترتبت على حرب أكتوبر "الغفران" 1973، تحميل حزب العمل المسؤولية عن الهزيمة التي حدثت في الحرب، كما أن نشر تقرير لجنة أغرانات عن ظروف اندلاع الحرب، الذي أعقبه استقالة غولدا مئير من رئاسة الحكومة واعتزال موشيه ديان لوزارة الدفاع في آذار / مارس 1974، أدت إلى تدهور إضافي في شعبية المعراخ، ورشح ذلك مجيء وتحالف اليمين القومي والديني في إسرائيل. أنظر موقع معاريف على شبكة الانترنت: [http://www.arabynet.com/SITE/TEMPLATE/DOC\\_VIEW.asp?did=28587](http://www.arabynet.com/SITE/TEMPLATE/DOC_VIEW.asp?did=28587)

كوليك من الاستيطان اليهودي في الأحياء الإسلامية، بقي على موقفه، وهو ما أكد عليه في بيان قائمة الانتخابية المسماة "قدس واحدة" على ما يلي:

"أنا لا أؤمن بتغلغل الأفراد (اليهود) في الأحياء الإسلامية، وأعارض ذلك بقوة، فكل شيفاً تقام هناك تستلزم عدداً من رجال الشرطة يفوق عدد الطلاب.... هل تعلمون كم من العقارات مسجل بأسماء العرب في الشطر الغربي من المدينة؟ ماذا يحدث إذا جاؤوا وطالبوا باستعادتها؟".<sup>37</sup> كما عارض كوليك في وقت لاحق وبشده إيلي (إلياهو) سويسا الذي سعي لدفع خطط البناء اليهودي في شرقي القدس، مثل التخطيط لإقامة حي يهودي في الشيخ جراح، بعد انتخابات 1992،<sup>38</sup> كما سُجِّلَت مجابهاة مماثلة بين سويسا ورجال اليسار من أمثال وزير الداخلية رامون.

إلا أن ذلك لا يعني أن كوليك أوقف تغلغل المستوطنين في الأحياء الإسلامية، بل يمكن فهم تلك المواقف في سياق الحرب الإعلامية التي كانت تنور بين حزب العمل والليكود. خاصة وأن كوليك هو الذي بدأ الاستيطان في البلدة القديمة،<sup>39</sup> ولكن على طريقة حزب العمل. كما أنه بهذه الطريقة أعفى الدولة من إعلان سياسة رسمية تجاه القدس، يمكن أن تخرجها أمام الرأي العام العالمي والمحلي.

وفي ظل التضييق الذي مارسه البلدية نفسها على السكان العرب في المدينة القديمة بشكل خاص،<sup>40</sup> فقد اندفعت المنظمات الاستيطانية للسيطرة على الأحياء العربية في

---

<sup>37</sup> Nadaf Shragai, "Who Will Buy, Who Will Buy Me a House?", Ha'aretz, 23/4/1986.

<sup>38</sup> يهودا غولان، وزير الداخلية الجديد.. إيلي سويسا يقود عملية شرسة لتهويد القدس، معاريف، 1996/6/21.

<sup>39</sup> Allison B. Hodgkins, The Judaization of Jerusalem: Israeli Policies Since 1967, 1st ed. Jerusalem: passia, 1996, p. 16.

<sup>40</sup> See these actions in details in: Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from Within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA.

المدينة، تحت غطاء كونها منظمات غير ربحية، لتتجو من رقابة البلدية،<sup>41</sup> ومستفيدة في ذات الوقت من الدعم الحكومي من وزارات الدولة لتنفيذ مشاريع إسكانية، سواء بالمال أو من خلال تقديم معلومات خاصة بملكية العقارات في تلك الأحياء.<sup>42</sup> ومستغلة سوق الإسكان الكاسدة والخاضعة لأوضاع سياسية، وعدم سماح السلطات الإسرائيلية للسكان الفلسطينيين بالإقامة في الحي اليهودي، أو السماح لهم بشراء تلك البيوت أو استئجارها، وإن كانوا من سكانها قبل مصادرتها. ولعل أبرز مثال على ذلك، القرار الذي صدر عن محكمة العدل العليا الإسرائيلية ضد المواطن محمد سعيد برقان الذي طرد هو وأسرته من بيته الذي صودر ثم عرض للبيع في المزاد، ومع ذلك لم يسمح لمحمد برقان أن يشارك في المزاد الذي بيع فيه منزله، الذي كان يملكه في "حارة الشرف" داخل البلدة القديمة، أو السماح له بشراء شقة أخرى داخل الحي نفسه.<sup>43</sup> وعندما رفع برقان دعوى ضد المسؤولين، أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية حكمها لصالح وزير المالية و شركة ترميم وتطوير الحي اليهودي في البلدة القديمة، ووزير الإسكان، وهم المسؤولين عن البناء والإسكان، في ذلك الحي. وأيدت المحكمة ادعاء المدعي عليهم "بأن برقان يمثل مصلحة غريبة ومعادية للمصلحة القومية في إعادة بناء وترميم الحي اليهودي داخل البلدة القديمة... وأنه يعمل بفعل قوة أيديولوجية دينية متعصبة تدفعه إلى وضع يده على عقارات في الحي اليهودي والمحافظة عليها حتى لا

---

<sup>41</sup> أشارت صحيفة هآرتس إلى أن كوليك كان قد دعم بعض أولئك المستوطنين كعطيرت كوهانيم ولكنه غير موقفه منهم عندما وجد في سلوكهم العدوانية، سببا في تهديد سياسته الليبرالية في المدينة. أنظر: هآرتس، 1998/5/29.

<sup>42</sup> Michal Schwartz, Collusion in Jerusalem: How the government and the settlers conspire to take over houses and land, Challenge no.50. on: [www.odaction.org/challenge/50/in-ussue.html](http://www.odaction.org/challenge/50/in-ussue.html); Geoffrey Aronson, Rabin and Jerusalem; judge and Adversary?, Journal of Palestine studies, Issue 85, 1992, p. 95-96

<sup>43</sup> Burqan case, in Jerusalem Studies Archive files, University of Exeter; Allison B. Hodgkins , Israeli Settlement policy in Jerusalem-Facts on the Ground, Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (Passia), p. 27; The Jerusalem Day Committee, The third symposium, . convened in Amman, from 10th -13th October 1992, 997, p. 328

تتقل إلى أيدٍ يهودية. وأن الشركة تهدف من وراء الشروط التي وضعتها في المزايدة العلنية (بأن يكون المشتري ممن أدو الخدمة العسكرية، أي أن يكون يهودياً) إلى إنشاء طائفة تضمن للحي طابعه الخاص وتطوره كمركز يهودي قومي ديني، تاريخي وثقافي".<sup>44</sup>

ومع انحسار نفوذ كوليك وبقاء الحكومة على الحياد ظاهراً، استطاعت جماعات المستوطنين توسيع أنشطتها في الأحياء الإسلامية. وقد علقت على ذلك صحيفة Jerusalem post في افتتاحيتها، قائلة: "في السنتين المنصرمتين اضطرب مبدأ الفسيفساء في أكثر المواضع حساسية، في الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة. فقد بات يقيم هناك نحو 200 يهودي، معظمهم من طلاب اليشيفا، في مبان كانت ملكاً لليهود في تلك الأحياء... إن وجودهم في الأحياء الإسلامية يشكل خطراً كبيراً على السلام في القدس: فهم - على ما قال مسؤول حكومي كبير مؤخراً - "قتيل الإشعال في برميل البارود"... إن الحال تدعو إلى قيام الحكومة بعمل وقائي سريع".<sup>45</sup> وقد برزت تلك الدعوة، بعد أن استفزت الأنشطة التي قامت بها بعض جماعات المستوطنين، وخاصة جماعة شوفوبانيم المتطرفة، مشاعر المواطنين الفلسطينيين، وخالفت سياسة الدولة في العمل بهدوء ودون ضجيج في المدينة القديمة.<sup>46</sup> كما أثار ذلك مخاوف المستوطنين الآخرين من لفت الأنظار إلى أنشطتهم داخل البلدة القديمة، وهو أمر غير مرغوب فيه.

وقد عى ذلك الحكومة إلى تأليف لجنة وزارية للبحث في موضوع الاستيطان في الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة. ضمت اللجنة ممثلين عن وزارات الإسكان والعدل والداخلية، وعن البلدية والجيش والشرطة، ومدير دائرة الأراضي الإسرائيلية

---

<sup>44</sup> "قرارات محكمة العدل العليا" (بالعبرية) القدس: وزارة العدل 1978، مجلد 29، الجزء الثاني، محكمة العدل العليا رقم 114/78، محمد سعيد برقان ضد وزير المالية وآخرين)، ص 800-808. يشار إلى أن برقان لم يسمح له بالمشاركة في المزاد الذي بيع فيه منزله بعد مصادرته.

<sup>45</sup> Jerusalem post, 27/1/1984.

<sup>46</sup> Jerusalem post, 14/12/1983; Jerusalem post, 24/1/1984.

الكيرن كيمت"، وعالماً بآثار المنطقة، وممثلين عن مختلف جماعا المستوطنين.<sup>47</sup> وعلى الرغم من أن جلسات تلك اللجنة بقيت سرية إلا أن صحيفة "هآرتس" العبرية<sup>48</sup> أصدرت تقريراً بالقرارات التي تم الاتفاق عليها فيما يتعلق بالاستيطان في الأحياء الإسلامية ولم يعارضها إلا ممثل البلدية. إذ تم الاتفاق على:

- 1- أن تهدم المباني المصنفة خطرة" وفق قوانين البلدية، وألا ترمم أو تجدد.
  - 2- أن يعطي استيطان الأسر الإسرائيلية الأفضلية على إقامة المؤسسات.
  - 3- ألا يتم استيطان أو ترميم على مقربة من الحرم الشريف.
  - 4- ألا يحدث استيطان في الممتلكات التي أغلقها الجيش الإسرائيلي.
  - 5- ألا يتم إشغال أو تجديد أية ممتلكات، إلا الممتلكات القريبة من حارة اليهود الموسعة.
  - 6- ألا تقدم أية معونة حكومة للممتلكات التي لا تقع على مقربة من حارة اليهود الموسعة.
  - 7- أن يؤلف السيد إفرام شيلو، ممثل وزارة الداخلية، لجنة متابعة وينسق أعمالها.
- ولعل ما يميز هذا الاتفاق هو التنازلات الكبيرة التي قدمت لمبدأ الاستيطان الإسرائيلي في الأحياء الإسلامية، وهو ما يعد تجاهلاً لسياسة البلدية. ويؤكد أن أهداف المستوطنين كانت تحظى بدعم حكومي واضح.

---

<sup>47</sup> داني روبنشتاين، رئيس الوزراء الإسرائيلي مدعو لوقف عملية الاستيطان الاستفزازية في القدس، هآرتس، 2000/2/3؛ الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس وضواحيها، وزارة الخارجية الأردنية، عمان، دائرة الشؤون الفلسطينية، قسم الدراسات والتوثيق، إبريل 1990، ص 5.

<sup>48</sup> نداف شرغاي، منزل بعد آخر، هآرتس، 1986/4/25.

فقد كانت الموافقة على تقويض المباني "الخطرة" دون السماح بترميمها أو تجديدها، تدبير يهدف إلى تخفيض عدد السكان الفلسطينيين، كما أن النقطة 5،6 تؤكدان على السياسة الحكومية في السيطرة على الأملاك المحاذية لحارة اليهود الموسعة، أو "سوق الحبرون" بمصطلح المستوطنين، كما أن النقطة 3، 4 قد أكدت محاولة الدولة للسيطرة على الأوضاع وعدم السماح بانفلاتها، تحاشياً للاستفزاز الديني؛ إذ أن الدولة كانت على علم بالنظريات المسيحانية التي تعتقدها جماعات المستوطنين.

وعلى الرغم من تلك المقررات، إلا أن نجاح اللجنة المشرفة في تنظيم أنشطة جماعات المستوطنين بقيت عاجزة، إذ سجل عدد من المحاولات لتملك عقارات جديدة، قامت بها عطيرت كوهانيم، فقد احتلت عطيرت كوهانيم سنة 1985، عقاراً كان يملكه اليهود في طريق باب الحديد على مقربة من الحرم الشريف. إضافة إلى أن لجنة المتابعة لم تؤلف قط، وأن شيلو — المعروف بتعاطفه مع المستوطنين — قد استقال من رئاسة اللجنة الأصلية، وقد أكد ذلك التعاطف روبنشتاين، بقوله: "إن اللجنة سهلت سيطرة اليهود على أحياء الواد، السعدية، وباب حطه، وسلوان، ورأس العامود، والشيخ جراح منذ العام 1985".<sup>49</sup>

وكما يرى دامبر، فإن تلك الاجتماعات السرية تشير إلى ضعف سلطة كوليك والى تنامي الدعم الذي باتت جماعات المستوطنين تتلقاه.<sup>50</sup>

ومن الأمثلة الصارخة لذلك الدعم، إقدام وزير الدفاع السابق أرئيل شارون بتاريخ 15 ديسمبر 1987، على احتلال المنزل الذي كان يسكنه موشيه فيتنبرغ في طريق الواد. وصرح شارون بعد إقامته في المنزل "سكنت القدس لأشجع الاستيطان فيها، ولا منع

---

<sup>49</sup>داني روبنشتاين، رئيس الوزراء الإسرائيلي مدعو لوقف عملية الاستيطان الاستفزازية في القدس، هآرتس، 2000/2/3.

<sup>50</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 46-47.

أي تنازلات أو مفاوضات حولها".<sup>51</sup> وقد مثلت هذه الخطوة ذروة الدعم الحكومي العلني لمخططات المستوطنين في البلدة القديمة.

كما كان احتلال فندق مار يوحنا في حارة النصارى دليلاً آخر على تنامي قوة المستوطنين وعلى الدعم الحكومي المقدم لهم. فقد اقتحم أكثر من 150 مستوطن يهودي من عطيرت كوهانيم بتاريخ 1990/4/11 مبني تملكه بطيركية الروم الأرثوذكس، ويشغله فندقاً باسم "فندق ماريوحنا"، ويقع المبني في مكان وسط في الحي العربي المسيحي، وبالقرب من عدة أماكن إسلامية ومسيحية مقدسة، منها كنيسة القيامة وكنيسة المخلص اللوثرية والقدّيس يوحنا، وهو أيضاً قريب من مسجد عمر بن الخطاب. ويدعي المستوطنون أنهم اشتروا المبني، وأن الموقع كان ملكاً لليهود في مطلع القرن الحالي، مما يجعل استيطانهم فيه أمراً مبرراً. ومع ذلك، فقد صدر قرار من المحكمة العليا الإسرائيلية برد دعوى المستوطنين والحكم بشرعية امتلاك المبني للبطيركية الأرثوذكسية وصدور قرار بإخلاء المبني من المستوطنين، إلا أنهم رفضوا تنفيذ قرار المحكمة وأصرّوا على استيطان المبني مستندين إلى تأييد عدد من الشخصيات السياسية وأعضاء كنيست مثل أريئيل شارون وغينولا كوهين.<sup>52</sup>

وفي ذات السياق، وبحجة مقتل مستوطن وجرح آخر، من طلبه أحد المعاهد الدينية التابعة لعطيرت كوهانيم قريباً من بوابة دمشق بتاريخ 1997/11/12، قامت قوة من الجيش والشرطة بالسيطرة على منزل عائلة التارحي، وتحويله إلى مركز للشرطة، بتاريخ 1997/11/19، وذلك على الرغم من وجود أربع مراكز للشرطة لحماية المستوطنين في البلدة القديمة. كما شرع بفتح بعض مراكز الشرطة في أماكن أخرى

---

<sup>51</sup>أنظر: الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس وضواحيها، وزارة الخارجية الأردنية، عمان، دائرة الشؤون الفلسطينية، قسم الدراسات والتوثيق، إبريل 1990، ص 5؛ "Annexation and Occupation Stage (1967-1997)", Part 6. In: "Jerusalem: History and Present", p. 1, (visited 25/10/1999). <http://www.palestine-info.net>

<sup>52</sup>الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس وضواحيها، وزارة الخارجية الأردنية، عمان، دائرة الشؤون الفلسطينية، قسم الدراسات والتوثيق، إبريل 1990، ص 6.

من البلدة القديمة.<sup>53</sup> كما تم تحويل المدرسة التتيزية (وتعرف باسم مدرسة المحكّمة) بالقرب من باب السلسلة، كان قد سيطر عليها الجيش في 1967/6/24، إلى موقع عسكري ثم تحولت في وقت لاحق إلى كنيس يهودي.<sup>54</sup>

### الحركات والمنظمات الاستيطانية اليهودية في القدس

لعبت الجمعيات والمنظمات الأصولية اليهودية دوراً بارزاً في السيطرة علي البلدة القديمة في القدس، وكان الهدف الديني/القومي هو المحرك الأساس لمعظم هذه المنظمات في سعيها لتهويد المدينة. وقد تفاوت حجم هذه المنظمات وتأثيرها.<sup>55</sup> وفيما يلي عرض للمنظمات والجمعيات الرئيسية العاملة في القدس:<sup>56</sup>

**1- "عطرات كوهانيم"** (وتعني تاج الكهنة) أسست عطرات كوهانيم سنة 1978، بعد سلسلة من الحلقات الدراسية التي عقدت في القدس بشأن موضوع هيكل اليهود. عقب الارتباك الإيديولوجي الذي أعقب اتفاق كامب ديفيد والانسحاب من سيناء. وقد نظم الحلقات الدراسية محارب قديم في الجيش الإسرائيلي، ويهودي متمسك بالناموس يدعي متتياهو هاكوهين، وهو مستوطن من مرتفعات الجولان، شجعته الاستجابة للحلقات التي عقدها على إقامة يشفيا مستقلة فيما يتعلق بها الموضع ويقود هذه اليشيفا الحاخام شلومو حايم هاكونين أفنير حاخام مستوطنة كيشيت في الجولان سابقا وحاخام مستوطنة بيت إيل في الضفة الغربية حالياً.

---

<sup>53</sup> <http://www.arij.org/paleye/oldcity/index.htm> (visited on 10/4/02) يشار إلى أن عائلة الفراحي تعرضت إلى محاولات إخلاء وترغيب منها عرض أربعة ملايين دولار لبيع البيت ولكنه رفض، إلى أن تم السيطرة عليه بالقوة. أنظر المصدر نفسه.

<sup>54</sup> <http://www.arij.org/paleye/oldcity/index.htm> (visited on 10/4/02).

<sup>55</sup> أنظر أسماء بعض المنظمات الصغيرة والهامشية في القدس لدى: يديعوت أحرونوت، عدد 1990/4/24؛ الفجر المقدسية، 1990/5/9.

<sup>56</sup> اعتمد الباحث في هذا الجزء على مايكل دامبر، الاستيطان اليهودي في القدس القديمة، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 8 خريف 1991، ص 47-55. إلا إذا أشير لغير ذلك.

تلقت عطرات كوهانيم دعماً حكومياً ضخماً من وزارات إسرائيلية مختلفة على شكل مواقع وأملاك<sup>57</sup> وأموال، وصلت إلى ملايين الدولارات، وإذ راحت تقدم دروساً برعاية وزارة المعارف والثقافة، فإنها قد تلقت معونات لكل طالب، وحصلت سنة 1986 على هبة قدرها 250.000 دولار من وزارة الديان، وفي السنة نفسها، رصدت وزارة البناء والإسكان مبلغ 40.000 دولار آخر، للاستمرار في امتلاك الشقق في الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة. ويذكر تقرير لصحيفة Jerusalem post أنه لم يتم الموافقة الرسمية على هذه الأموال في الميزانية.<sup>58</sup> بل تلقت ملايين من الدولارات، منها أكثر من خمسة ملايين دفعت لأرمني مستأجر دير مار يوحنا والذي بدوره تنازل عن الإيجار لصالح هذه المدرسة. أكد هذا السخاء الناطق باسم الجماعة بقوله: "الناس يأتون إلينا ونحن ندفع جيداً".<sup>59</sup> كما تتلقي الجماعة مساعدات مالية من مجموعات مسيحية أصولية في الولايات المتحدة.<sup>60</sup>

سجلت عطيرت كوهانيم نجاحات في مجال التربية وامتلاك الأراضي أواسط الثمانينات، وحاولت الابتعاد عن الأسلوب الدعائي كالتظاهر، كما تفعل غوش إيمونيم، وأمناء جبل الهيكل، ضد الوجود الإسلامي في الحرم الشريف. لكنها لم تخف رغبتها في بناء "الهيكل الثالث"، وقد عبر عن ذلك متتياهو كوهين بقوله: "نريد أن نرقي بحياة الجمهور الروحية. فإذا شاء الجمهور أن يكون الهيكل فسيكون"، كذلك استنكر الحاخام شلومو أفنير الوسائل الإرهابية التي يعتمدونها نفر من أعضاء غوش إيمونيم لإزالة قبة الصخرة واستبدالها بهيكل لليهود لكنه أكد أن عطيرات كوهانيم ستكون على استعداد للقيام بالشعائر الدينية عندما يبني الهيكل معتمدة الطريق المتدرج والقائم على بناء ثقافة

---

<sup>57</sup> فعلي سبيل المثال منح شارون منظمة عطيرت كوهانيم في 10/4/1991، 30 دونماً مغروسة بأشجار الزيتون من أراضي القدس، واعدت بمساعدتها في توسيع البؤرة الاستيطانية التي أقامتها في الحي الإسلامي. هآرتس 1991/3/29، وانظر صحيفة هآكيش الإسرائيلية، 10/4/1991.

<sup>58</sup> Avi Temkin, Yeshiva gets \$40.000 to buy Muslim flats, Jerusalem Post, March 27, 1986.

<sup>59</sup> <http://www.arij.org/paleye/oldcity/index.htm> (visited on 10/4/02)

<sup>60</sup> <http://www.arij.org/paleye/oldcity/index.htm> (visited on 10/4/02)

أيدولوجية، عبر برنامج تربوي، واقتناء الممتلكات، مما يجعل إقامة هيكل لليهود في منطقة الحرم إقامة مشروعة.<sup>61</sup>

وتسيطر عطران كوهانيم على أكثر من 35 منزلاً وعقاراً داخل البلدة القديمة حسبما صرح بذلك يوسي بومال المتحدث باسم الجماعة.<sup>62</sup>

**2- "توراة كوهانيم":** مجموعة انشقت عن "عطران كوهانيم" في مطلع الثمانين،<sup>63</sup> يقف على رأسها الراب بتروفر، وهو الراب السابق للقدس القديمة. تنتمي إلى اليمين القومي — الديني وإلى غوش أيمونيم، تميل إلى استقطاب طلاب الهاسدير الإسرائيليين، أي الناموسيين الذين يمتنعون عن تأدية الخدمة العسكرية على أسس دينية معترف بها. بل يدخلون اليشيفا بدل ذلك. يهتم أعضاؤها بدراسة المعارف المتعلقة بهيكل سليمان كما بينها حافتنس حايم وكذلك اقتناء الأملاك في الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة. قدر عددهم عام 1983 خمسة عشر طالباً، لكن مع نهاية الثمانينات، بلغ عددهم نحو خمسين شخصاً. وتشارك هذه الجماعة عطيرت كوهانيم في الاتحاد المالي العقاري ليوشنا، ويقيم أعضاء منها في عقبة الخالدية حيث أنشأوا لأنفسهم مكتبة بينما يقيم أعضاء آخرون في شقق قريبة من ميثم ديسكين وفوق خان الزيت في كوليل غاليسيا.<sup>64</sup>

**3- "حركة إسرائيل الفتاة":** شكلها الراب نحمان كاهانا، وهو شقيق الحاخام مائير كاهانا، بعد أن استوطن هو وزوجته وبعض الطلبة في مبني كان ملكاً لليهود، يعرف بكوليل جورجياً في طريق الواد ويضم المبني كنيساً صغيراً ومكتبة وعدداً من الغرف للسكن تحيط بفناء مشترك. ويدرس الحاخام نحمان كاهانا خليطاً من لاهوت إسرائيل الكبرى وبعض المعارف المتعلقة بهيكل سليمان. تعد هذه الحركة صغيرة، إذ تضم

---

<sup>61</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 47-48. For further details about this group thoughts see: Ateret Kohanim's website on: [www.ateret.org.il/english/bkgrnd/index.html](http://www.ateret.org.il/english/bkgrnd/index.html) (visited on 1/6/2002)

<sup>62</sup> Alquds, 6/6/1999.

<sup>63</sup> عطي المصادر تاريخين مختلفين لتأسيس يشيفات توراة كوهانيم، وهما 1979، 1982.

<sup>64</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 48-49.

بضع عشرات فقط بين صفوفها. قامت ببعض الأنشطة التي أثارت حفيظة السكان الفلسطينيين في المدينة، كتوزيع طابع بريدي للهيكل بدلاً من الحرم، وتنظيم رحلات سياحية إلى منطقة الحرم "جبل الهيكل" في اتجاه الحرم الشريف وإلى حارة اليهود الموسعة والمواقع المشغولة باليهود في الأحياء الإسلامية، إضافة إلى الاصطدام مع الفلسطينيين في مجابهات عنيفة.

**4- "يشيفا شوفوبانيم":** وتعني "عودوا أيها الأبناء". أفرادها من المتدينين من أتباع الحاخام المشهور نحمان الحسيدي من براتسلاف، وهو زعيم فرع من الحسيدية. غير أن سلوكهم المتطرف العنيف يُعد شاذاً في نظر الحسيديم البراتسلاف الآخرين. فأعضاء يشيفا شوفوبانيم يؤمنون بتحقيق "الاتصال بالله"، وذلك عن طريق التطواف في الساحات والأماكن المكشوفة، صائحين صارخين إعلاناً لأفكارهم ومشاعرهم، ورافعين أصواتهم في الصلوات، قارعين الطبول في مبني يشيفا. يعتقدون أن من الواجب في غياب هيكل اليهود، أن يبني كنيس في المدينة القديمة، بحيث يكون أعلى بناء في المنطقة المحيطة به؛ لذلك حاولوا بناء طبقة ثانية في المبنى الذي احتلوه على مقربة من عقبة الخالدية.

ليس للجماعة زعيم حي، وإن كانت تقر بأنها تتلقى الإرشاد من الحاخام لايرز برلاند. يمول نشاط هذه الجماعة الثري اليهودي الأمريكي النيويوركي افراهام دويك، وهو من أصل سوري وصديق شخصي لآريئيل شارون،. ويحسن التحدث بالعربية.

لم تفلح الحركة في إيجاد وجود لها في الحي اليهودي نتيجة الخلاف مع بقية الجماعات،<sup>65</sup> لذلك فقد استغلت الفرص التي أتاحتها أنشطة جماعات المستوطنين في الأحياء الإسلامية للحصول على مبنى هناك.

---

<sup>65</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from Within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 102.

5- "عتيراه ليوشنا": و تعني "جمعية إحياء الاستيطان اليهودي في القدس القديمة كلها"، جري تشكيلها عام 1979، على أيدي أقطاب "توراة كوهنيم" وحركة إسرائيل الشابة، وهدفها "استرجاع وبعث وتجديد الاستيطان اليهودي في تلك الأحياء، التي لا تقل "يهودية" عن الحي اليهودي نفسه" — كما جاء في أدبيات الجمعية.<sup>66</sup> من مؤسسيها حاخام إسرائيل الرئيسي للسفارديم، وحاخام المدينة القديمة. شكلت هذه الجمعية الذراع العقارية لجماعات المستوطنين الرئيسية في الأحياء الإسلامية. اعتمدت سياسة عطيراه ليوشناه الاستيطانية على ما يلي:

— تحديد موقع ممتلكات اليهود السابقة.

— شراء الممتلكات أو استئجارها.

— إخراج المستأجرين الفلسطينيين المحميين منهم وغير المحميين.

— تجديد الممتلكات وإعادة بنائها.

— إسكان أسر مختارة في الوحدات السكنية المجددة.<sup>67</sup>

من المعلوم أن أملاك اليهود في الحارة القديمة وضعت بعد السيطرة عليها من قبل الأردن تحت تصرف "الحراسة الأردنية على أملاك العدو" وبعد أن احتلت إسرائيل القدس سنة 1967، أحالت التصرف بتلك الأملاك إلى "القيم على أملاك الغائبين" الإسرائيلي ( قانون 1970، الفقرة 5)، ومع ذلك لم يتم استعادة فورية لتلك الأملاك من قبل الملاكين أو المستأجرين اليهود السابقين. وإن تم ذلك لاحقاً. وكان ثمة أسباب لذلك التأخير، منها أن الاستيطان في عهد حزب العمل، وخاصة في عهد تيدي كوليك، بقي مركزاً على مناطق الأمن، متجنباً مراكز الكثافة السكانية الفلسطينية. كما

---

<sup>66</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 50. cited from a booklet issued by Atera Lewshnah (without date).

<sup>67</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 50-51.

أنه لم يكن سهلاً دائماً تحديد هوية المالكين أو المستأجرين اليهود. إلا أن السبب الرئيسي هو أن القانون الإسرائيلي، اعتبر، على غرار القانون الأردني، المستأجرين الفلسطينيين، مستأجرين محميين، لذلك لم يكن سهلاً انتقال المالكين أو المستأجرين اليهود بسهولة إلى تلك الأملاك.<sup>68</sup>

لكن في عهد حزب الليكود — أواسط الثمانينات — تطور التعاون بين عطيراه ليوشنا من جهة وبين مكتب القيم على أملاك الغائبين وإدارة أراض إسرائيل من جهة ثانية، ليصل إلى حد أن يسمح مدير إدارة أراضي إسرائيل في منطقة القدس، يهودا زئيف، لعطيراه ليوشنا بالتفاوض مع المستأجرين الفلسطينيين وإدارة الأوقاف، باسم دولة إسرائيل، كما خولت القيام بإدارة ممتلكات كانت إدارة أراضي إسرائيل تديرها.<sup>69</sup> وهكذا استطاعت أن تتصرف كذراع رسمية لمؤسسة رسمية هي إدارة أراضي إسرائيل، تجنباً للأصدقاء السياسية التي قد يثيرها التدخل المباشر لمؤسسات الدولة الرسمية.

كانت عمليات الإخلاء للفلسطينيين عن المباني التي امتلكتها عطرا ليوشنا مكلفة وبطيئة؛ فقد كان المستأجرون الفلسطينيون محميين في معظمهم، وشرعيين. لكن أولئك الذين لم يبينوا إلى من كان عليهم أن يدفعوا بدلات الإيجار، أو لأنهم كانوا أولاد مستأجرين محميين لا مستأجرين محميين هو أنفسهم، لذلك فقد أخرجوا سريعاً.<sup>70</sup>

---

<sup>68</sup> ثمة دلائل توحى بأن القيم على أملاك الغائبين الإسرائيلي وإدارة أراضي إسرائيل كانا يعدان العدة لإجلاء المستأجرين الفلسطينيين، ففي العديد من الأحوال كانت المباني سيئة الصيانة، وكان المقيمون فيها يمنعون من تحسين سلامة منازلهم وأوضاعها الصحية (كتصريف مياه المجاري، وغير ذلك) وكان ثمة تشويش كبير في معرفة إلى من يجب أن تدفع بدلات الإيجار، كما كان من الممكن استخدام التخلف عن الدفع في جملة أسباب المطالبة بالإخلاء. أنظر مايكل دامبر، الاستيطان اليهودي في القدس القديمة، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 8 خريف 1991، ص 51.

<sup>69</sup> Nadaf Shragai, "Who Will Buy, Who Will Buy Me a House?", Ha'aretz, 23/4/1986.

<sup>70</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 52.

وعندما كان المستأجرون يرفضون التعويضات، فقد كانت عيشتهم تنغص تنغيصاً شديداً، وربما تعرضت حياته للخطر، فالشقق لم تكن تصان كما يلزم، الأمر الذي سبب نشوء أوضاع غير صحية. كما أن المستوطنين أخذوا على عواتقهم مهمة تكدير عيش المستأجرين والسكان وتخويفهم. من ذلك أن عدداً كبيراً من منازل المدينة القديمة يحيط بفناء داخلي مشترك. وقد قام المستوطنون الذين حلوا في عدد من منازل الفناء بتغيير بوابته. فحالفوا بذلك دون دخول الفلسطينيين الساكنين في منازل الفناء الأخرى. ونجد مثلاً آخر لمدى ما كانت عطرا ليوشنا مستعدة لفعله وذلك في قضية وقف الرصاص.<sup>71</sup> والتي يتبين منها كيف أن البلدية على الرغم من اعتراض كبار موظفيها على أنشطة المستوطنين، لم تقدم دعماً ذا بال للفلسطينيين متى دخلوا في نزاع مع بعض جماعات المستوطنين. ولقد كان في وسع المستوطنين أن ينتهكوا قوانين البلدية المتعلقة بالبناء، دون أن يتعرضوا لملاحقة شديدة.<sup>72</sup>

تمكنت عطيرات ليوشنا خلال ذلك وعلى الرغم من ابتعادها عن الظهور، برنامجاً طموحاً للترميم والتجديد وقد تخطت ميزانيتها لتحديث المباني 1.5 مليون دولار، كما قدمت طلبات للحصول على 1.8 مليون دولار إلى إدارات حكومية عدة. ومن أجل إنجاز مشروع التحديث كهذا أنشأت عطرا ليوشنا شركة تعمير وإدارة فرعية سمّتها "بينان يروشلايم"، وقد أشرفت هذه الشركة على أعمال التحديث اليومية. كما اعتمدت عطرا ليوشنا على برنامج جمع تبرعات في الولايات المتحدة. وفي سنة 1986 أطلق مديرها يسرائيل فويختفانغر، برنامج "لبن من أجل القدس" الذي يمكن تخصيص الهبات فيه لمشاريع معينة في الأحياء الإسلامية، هذا مع كون الهبات محسومة من جملة الدخل الخاضع للضريبة.<sup>73</sup>

<sup>71</sup> See the details on: Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 52-54.

<sup>72</sup> More details on: Ann Latendresse, op. cit, p. 28; Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 54; Ann Latendresse, op. cit, p. 28.

<sup>73</sup> Michael Dumper, Israeli Settlement in the Old City of Jerusalem, op. cite, p. 54-55.

أما المرحلة الأخيرة في برنامج عطيرا ليوشنا، الاستيطاني فهو عملية إسكان تلك المباني المجددة. وقد أعطيت الأولوية لأولئك الملتزمين أيديولوجيا بـ "افتداء" الأحياء الإسلامية. ومن اللافت للنظر أنه على الرغم من التعاون الوثيق بين إدارة أراضي إسرائيل وعطرا ليوشنا فقد رفضت الأخيرة طلباً من يهودا زئيف، مدير لواء القدس في إدارة أراضي إسرائيل، بتعيين ممثل عنه في هيئتها لانتقاء المستوطنين.<sup>74</sup>

لجأت بعض هذه الجماعات إلى أسلوب الترغيب، تارة بتقديم الحوافز المالية لسكان البلدة القديمة كي يبيعوا بيوتهم أو حقهم في الإقامة، أو من خلال التضييق عليهم والتحرش بهم، تارة أخرى.<sup>75</sup> كأن يقوموا بأداء صلواتهم وطقوسهم الخاصة بعباداتهم بصوت عالٍ، تتخللها قفزات في الهواء، وتصفيق بالأيدي، وخطابات ابتهالية عتابية، كما يقومون بالضرب على الصفائح الفارغة، وفضلاً عن ذلك فهم يقومون بإلقاء القمامة والقاذورات على المارة العرب. ويعمدون إلى سد شبكات المجاري وجعلها تتدفق إلى المنازل العربية التي تقع أسفل التجمعات الاستيطانية.<sup>76</sup> وكما ورد في شهادة تيدي كوليك أمام لجنة الداخلية في الكنيست ضد جماعة شوفوبانيم، بأنهم يلقون بالأوساخ وكذلك فضلات الإنسان على جيرانهم العرب.<sup>77</sup> هذا إضافة إلى رفع الأعلام الإسرائيلية على المباني المستولي عليها،<sup>78</sup> وحمل السلاح وهو ما كان سبباً كافياً بعد نزع ملكية تلك الأملاك من سكانها، لاستفزاز الفلسطينيين وبالتالي حدوث اشتباكات متعددة بين الطرفين.

---

<sup>74</sup> Nadaf Shragai, "Who Will Buy, Who Will Buy Me a House?", Ha'aretz, 23/4/1986.

<sup>75</sup> Ann Latendresse, op. cit, p. 28.

<sup>76</sup> انتصار عزمي، الاستيطان اليهودي الأحزمة والبؤر، صامد الاقتصادي، عدد 85، يوليو/يونيو/أغسطس، 1991، ص 200.

<sup>77</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from Within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 103.

<sup>78</sup> داني روبنشتاين، رئيس الوزراء الإسرائيلي مدعو لوقف عملية الاستيطان الاستفزازية في القدس، هآرتس، 2000/2/3.

قامت الدولة بتوفير الحماية للمستوطنين سواء الحماية الشخصية أو حماية الممتلكات التي آلت إليهم.<sup>79</sup> فوصلت تكلفة حراسة الدولة لهؤلاء المستوطنين في القدس فقط 19 مليوناً و 700 ألف شيكل في السنة،<sup>80</sup> خصصت من قبل وزارة البناء والإسكان لشركة الاستخبارات المدنية، التي تحرس البيوت والمؤسسات الاستيطانية. ويعمل في القدس الشرقية نحو 300 حارس لـ 1500 مستوطن يستوطنون ويتعلمون في سلوان الحي الإسلامي، وقبر الصديق شمعون. وهو لا يشمل تكلفة حراسة الجيش، بل يقتصر على الحراسة الخاصة.<sup>81</sup>

أفصحت مصادر إسرائيلية عن أن تكاليف حراسة منزل وزير الدفاع الإسرائيلي السابق أريئيل شارون في شارع الواد بالبلدة القديمة من القدس تقدر بنحو 125 ألف شيكل (41 ألف دولار) سنوياً.، وقد بدأت تلك الحراسة للمنزل في شهر ديسمبر 1987، فور الاستيلاء على المنزل وتدشينه من قبل شارون، الذي شغل منصب وزير الإسكان في

---

<sup>79</sup> داني روبنشتاين، رئيس الوزراء الإسرائيلي مدعو لوقف عملية الاستيطان الاستفزازية في القدس، هآرتس، 2000/2/3.

<sup>80</sup> أشارت صحيفة كول هعير، عدد 1999/6/25، أن كلفة حراسة مستوطنات الضفة التي يشرف عليها الجيش بلغ نحو 51 مليون دولار في السنة؛ في حين أشار مصدر آخر إلى أن هذه التكلفة وصلت إلى 75 مليون شيكل في السنة، وقد كشف عن هذا الرقم مستشار وزير الدفاع في شؤون الاستيطان، يوسي فردي بناء على طلب عضو الكنيست موسي راز (ميرتس)، في أثناء نقاش جرى في لجنة مراقبة الدولة في أوائل مارس عام 2001. أنظر شاحر غينوسار ويوفال كرني، في: يديعوت أchronوت، 2000/12/8.

<sup>81</sup> كول هعير، 1999/6/25. وقد كانت هذه النفقات مرشحة للزيادة في حال التوتر، فقد وافق الكنيست على إضافة 1.2 مليون دولار لتعزيز الحراسة الأمنية على المستعمرات اليهودية في الحي الإسلامي ورأس العمود وسلوان في مدينة القدس، خشية من هجمات مضادة. أنظر: المركز الفلسطيني للإعلام:

<http://www.palestine-info.info/arabic/palestoday/dailynews/2002/oct02/12-10/details3.htm#5> (visited on 2/10/2002)

حكومة الليكود، وعلى الرغم أن شارون لا يقيم في المنزل، إلا أن المنزل تعرض لمحاولات هجوم متكررة.<sup>82</sup>

وقد بدأ تورط حكومة الليكود في النشاط الاستيطاني واضحاً، وقد كشف ذلك تقرير كلوجمان الصادر في عام 1993، بطريق لجنة خاصة، عينها رئيس الحكومة الجديد في ذلك الوقت، اسحق رابين، وترأسها المدير العام لوزارة العدل حاييم كلوجمان. وبحسب التقرير فإن اللجنة أكدت أن 23 مليون شيكل (8.3 مليون دولار) من أموال الدولة، أنفقت في القدس الشرقية على حركة الاستيطان، خلال حكم الليكود، وقد تم تحويلها من قبل وزارات متعددة لحساب المستوطنين، وقد استخدمت هذه الأموال في الإنفاق على اليهود المهاجرين الجدد، وإصلاح البيوت العربية (المُخللة) وكذلك مباني المستوطنين في المدينة القديمة، وسلوان.<sup>83</sup>

مثال آخر على الدعم الحكومي، على سبيل المثال، "ما قام به أريئيل شارون عندما كان رئيساً لوزارة الإسكان حين منح جماعة عطيرت كوهانيم 7.5 أكر من الأرض تسمى "كرم المفتي" في حي وادي الجوز لمنع العرب من استخدامها، وقد تم الاحتفاظ بها كـ "أراضي عامة" منذ العام 1967، دون السماح بإقامة مدرسة للبنات العربيات في المنطقة".<sup>84</sup> كما تم نقل أراضي قريبة من باب الزاهرة إلى جماعة عطيرت كوهانيم، وكان قد اشترى تلك الأراضي شركة هيمنوتا (الصندوق القومي اليهودي) من الكنيسة الروسية، ثم نقلتها إلى دائرة أرض إسرائيل، والتي بدورها منحتها إلى جماعة

---

<sup>82</sup> نشرة قدس برس، رقم 9، 19/8/1994.

<sup>83</sup> Amir Cheshin, Bill Hutman , and Avi Melamed, Separate and Unequal: The Inside story of Israeli Rule in East Jerusalem (Cambridge, Ma: Harvard University Press, 1999). P. 215; Michal Schwartz, Collusion in Jerusalem: How the government and the settlers conspire to take over houses and land, ( visited on <http://www.hanitzotz.com/challenge> no.50. on: 20.5.2002)

<sup>84</sup> Hugh Humhries, In the beginning: Jerusalem Israeli of Palestinian Owned? (Scottish Friends of Palestine. 1997). P. 67.

عطيرات كوهانيم. وقد حدث ذلك تحت رعاية شارون.<sup>85</sup> وقد تكررت مثل تلك الحوادث خلال فترة حكم الليكود.

وعلى الرغم من عودة حزب العمل الى السلطة عام 1992، " إلا أن حكومة العمل لم تفعل شيئاً إزاء استرجاع تلك الأملاك"،<sup>86</sup> التي اعتبرها تقرير كلوجمان أنها أخذت بطرق غير شرعية، كما لم يرقم بخطوات جادة لكبح جماح المستوطنين وما تراكم عبر فترة الليكود من تجاوزات في المدينة القديمة. وكان كل ما فعله بينامين بن اليعيزر، الذي خلف شارون في وزارة الإسكان هو أنه أوقف الدعم المادي الحكومي لشراء بيوت المواطنين العرب في شرقي القدس، في حين لم تتأثر مخصصات الإجراءات الأمنية للمستوطنين في البلدة القديمة وسلوان والتي كانت تدفع بشكل ثابت، وأكدت حكومة العمل على أنه لا يمكنها التخلي عن المستوطنين حتى ولو عارض هؤلاء سياسات وقيم حزب العمل.<sup>87</sup>

لذلك رأي البعض أن الهدف من تشكيل تلك اللجنة "قصد منه فقط، تحسين صورة إسرائيل الدولية، وليس جلب المتورطين إلى العدالة".<sup>88</sup> وهو ما حذا بمحامي القدس داني زيدمان لتقديم التماس لمحكمة العدل العليا ضد وزير العدل الذي عين اللجنة، ولم

---

<sup>85</sup> Ha'artez, 12/8/1992; Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 91.

<sup>86</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from Within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 94; Haleem Abu Shamseyeh, Settling the old City: the policies of Labour and Likus, Jerusalem file, issue 6, Autumn 1999, Institute of Jerusalem studies, p. 36.

<sup>87</sup> Amir Cheshin, Bill Hutman , and Avi Melamed, Separate and Unequal: The Inside story of Israeli Rule in East Jerusalem (Cambridge, Ma: Harvard University Press, 1999). P. 219; Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 94.

<sup>88</sup> Haleem Abu Shamseyeh, Settling the old City: the policies of Labour and Likus, Jerusalem file, issue 6, Autumn 1999, Institute of Jerusalem studies, p. 39.

يلتزم بتنفيذ توصياتها.<sup>89</sup> كما رأي رئيس البلدية السابق تيدي كوليك في عدم تطبيق تلك المقررات تهديد للتعايش في المدينة:

"يبدو لي أنه بعد أن نفذت لجنة كلوجمان التحقيق ووجدت أنه لم يتم تطبيق الاعلان الخاص بالأماكن المتروكة، بشكل قانوني. ان تلك الأماكن يجب أن تعود لسكانها العرب خاصة وأنها تعود إليهم منذ عقود طويلة. إن ترك المسألة كما هي لا يحل المشكلة ولا يساعد في تهدئة العاصفة التي تدور بين السكان العرب في القدس، إن حلاً في القدس لهو على قدر كبير من الأهمية، لأنه سيمكننا من الاستمرار في كفاحنا في تحقيق لتعايش المشترك في المدينة".<sup>90</sup>

ما ينبغي ذكره هو أن هذه التصريحات من كوليك جاءت قبل ثمانية شهور من الانتخابات التي حاول فيها كوليك كسب أصوات العرب،<sup>91</sup> ومع ذلك فقد شهد العام 1993 خسارة رئيس البلدية تيدي كوليك الذي ترأس البلدية لمدة 28 سنة متواصلة أمام منافسه من حزب الليكود يهودا المرت. الذي صرح بعد فوزه مباشرة بأن:

"كل يهودي يمكنه شراء أملاك في أي مكان في القدس، وهو ما سيضمن سيطرة الإسرائيليين على كل المدينة".<sup>92</sup>

وقد خالف أولمرت في سياسته تلك كوليك، حيث احتفظ بعلاقات وطيدة مع المستوطنين، وزعمائهم، فازدادت حدة نفوذ اليهود المتدينين في المدينة، وأخذ هؤلاء يعيدون رسم خارطة المدينة بما يتوافق مع معتقداتهم وآمالهم. سيطر هؤلاء على لجنة

---

<sup>89</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p.94.

<sup>90</sup> Ibid, p. 96.

<sup>91</sup> Ibid, p. 97.

<sup>92</sup> Haleem Abu Shamseyeh, Settling the old City: the policies of Labour and Likus, Jerusalem file, issue 6, Autumn 1999, Institute of Jerusalem studies, p. 39; Allison B. Hodgkins , Israeli Settlement policy in Jerusalem; Facts on the Ground, Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (Passia), p.34.

الرفاه الاجتماعي، وعلى اللجان الفرعية الخاصة بتحصيلات الخزينة والتعيينات، وعلى اللجنة الفرعية المسؤولة عن ترتيب العقود الخاصة بالبلدية، واضعين على سلم أولوياتهم السيطرة على لجان البناء والتخطيط مما يساعدهم على تعزيز عملية بناء المساكن واجتذاب اليهود للسكن في القدس.<sup>93</sup>

كما تولي ألمرت بنفسه، وفي أكثر من مناسبة، جمع الأموال لشراء المباني والبيوت في البلدة القديمة لصالح جماعات المستوطنين.<sup>94</sup> كما فضل نموذج الاستيطان السافر، في كافة أنحاء المدينة. فعلى سبيل المثال، وجه ألمرت أوامره بهدم برج اللقلق 27 /8/1996 والمرافق التابعة له، بالقرب من بوابة هارود (Harod's Gate). بعد أن فشل المستوطنون من السيطرة عليها عام 1986. وقد تم تنفيذ الأمر تحت مراقبة هليكوبتر وحراسة المئات من حرس الحدود، وبذريعة البناء غير المرخص، علماً بأن هذه المباني كان يقدم خدماته للمعاقين وكبار السن.<sup>95</sup> لذلك فقد مثل مجيء المرت نقلة نوعية في نوع وحجم الاستيطان في القدس عموماً والبلدة القديمة على وجهه الخصوص.

يمكن القول بأن المستوطنين استطاعوا أن يحققوا خلال هذه المرحلة الكثير من أهدافهم، في المدينة القديمة، تمثل ذلك في سيطرتهم على أكثر من 63 بناية، بعضها كبير ويشتمل على عدد من المنازل. كما زاد عددهم على ألف مستوطن، يسكنون خارج الحي اليهودي. علماً بأن الكثافة السكنية تعتبر الأكبر بين الأحياء الإسلامية، في

---

<sup>93</sup> نشرة القدس برس، رقم 28، 1994/12/31.

<sup>94</sup> Allison B. Hodgkins, Israeli Settlement policy in Jerusalem; Facts on the Ground, Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (Passia), p.34;

ناحوم برنياع، المسيحيون المتطرفون....، (هآرتس) 2002/10/13.

<sup>95</sup> <http://www.arij.org/paleye/oldcity/index.htm> (visited on 10/4/02); For further details see: Allison B. Hodgkins , Israeli Settlement policy in Jerusalem; Facts on the Ground, Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (Passia), p. 30-32.

البلدة القديمة.<sup>96</sup> مما يشير بوضوح إلى أن أهداف المستوطنين الأولي المتمثلة في خلق وجود يهودي في الأحياء الإسلامية قد وصلت إلى طور متقدم من أطوار تحقيقها.

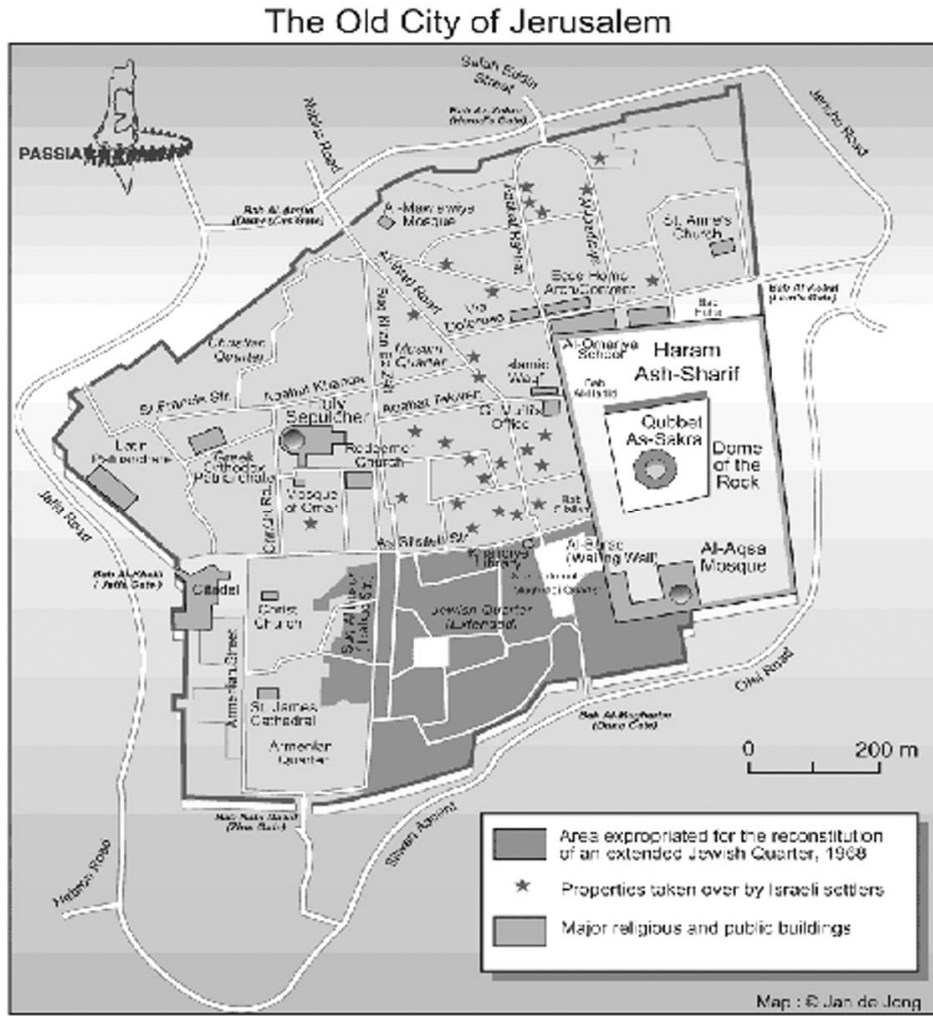
وقد شهد الاستيطان في المدينة وثبة كبيرة بمجيء رئيس البلدية لوبوليانسكي، والذي يمثل اليهود الأرثوذكس في المدينة، تمثل ذلك في استئناف السياسات السابقة، وزد عليها محاولة السلطات في الرابع من تموز عام 2004 الشروع في عملية تسجيل العقارات في "الحي اليهودي"، في البلدة باسم اليهود في سجلات الطابو واستثناء العرب من هذه العملية بأنه مؤشر على علمية واسعة النطاق ضد السكان في البلدة القديمة. وقد تضمن المخطط الذي عرضه رئيس البلدية أوري لوبوليانسكي ومهندسها أوري شطريت، وبموجب الخطة الاسرائيلية الجديدة تعرض البلدية الإسرائيلية تعويضاً لكل من يبدي استعداد إخلاء بيته على أ، توفر له سكناً بديلاً خارج حدود البلدة القديمة من القدس، زاعمة أن تخفيف الكثافة السكانية في البلدة القديمة يؤخر على مستوى المعيشة والرفاهية فيه، مدعية أنه لتحقيق ذلك لا بد من تخفيف الكثافة من كافة الأحياء داخل البلدة القديمة، باستثناء "الحي اليهودي"، بحجة أن هذه الحارة بالذات مرت بعملية تطوير مناسبة مؤخراً.<sup>97</sup> كما يقترح هذا المخطط الجديد من قبل بلدية القدس الغربية، إخلاء وترميم مخيم شعفاط للاجئين في شمالي القدس، وهناك نية للتخلص من هذا المخيم من خلال إخراجهم من حدود القدس ومن ثم نقله إلى أراضي السلطة الفلسطينية.<sup>98</sup> وذلك للمحافظة على التفوق الديموغرافي الإسرائيلي في القدس.

---

<sup>96</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 87.

<sup>97</sup> صحيفة القدس، 04/9/15.

<sup>98</sup> صحيفة القدس، 04/9/15.



يوازي ذلك في الأهمية الدعم الذي تلقتة جماعات المستوطنين من موظفي الدولة وكبار السياسيين بخاصة، وكبار رجال الدين في المؤسسة الدينية. إضافة إلى المساعدات المالية من جهات محلية ودولية لترميم وشراء الممتلكات في البلدة القديمة. بما يعني القبول المتنامي بأهداف المستوطنين في البلدة القديمة، وهو ما يشكل إنزلاقاً نحو اليمين وتقوية ادعاءات المستوطنين أكثر فأكثر.

كما يشار هنا الى التغير الجوهري في فلسفة الاستيطان في البلدة القديمة. فمن سياسة حزب العمل الهادئة<sup>99</sup> التي عبر عنها تيدي كوليك ما بين 1967-1993 إلى حد ما، إلى سياسة الليكود، الذي اتبع سياسة إستفزازية صريحة في السيطرة على المدينة وتهويدها. تلك السياسة التي عبر عنها وما يزال يهودا ألمرت رئيس البلدية الحالي منذ العام 1993 وحتى الآن، والتي أدت كما يقول أمير جيشن:

"لا يلزم وقت طويل لإشعال الفتيل، والذي سيفجر كل الأوهام المتعلقة بالعيش المشترك في البلدة القديمة، السكان اليهود مسلحين بأيديولوجيتهم المسيائية، والتي تنتظر الى العرب بوصفهم عابري سبيل في المدينة الخالدة، والتي يعتقدون أنها لليهود فقط".<sup>100</sup>

---

<sup>99</sup> أنظر أسباب ذلك لدي:

Haleem Abu Shamseyeh, Settling the old City: the policies of Labour and Likus, Jerusalem file, issue 6, Autumn 1999, Institute of Jerusalem studies

<sup>100</sup> Amir Cheshin Municipal policies in Jerusalem- an Account from Within, 1st ed. 1998, Jerusalem: PASSIA, p. 98. انظر في نفس المصدر قصص للنزاع بين اليهود والعرب على الأملاك في المدينة القديمة، ص 98-105

## خاتمة

قد يبدو توسيع حدود القدس وإعادة رسم مخططاتها الهيكلية مجرد إجراء تنظيمي إداري. بيد أن الدراسة المدققة لمضامين هذا الإجراء وغاياته، تبين أنه عمل يستهدف تهويد المدينة وفرض السيطرة السياسية عليها.

فيلاحظ في توزيع الضواحي والمستوطنات حول القدس أنها تنتظم في طوقين لهما مركز واحد. يتكون الطوق الداخلي، من الأحياء التي أقيمت في القدس الشرقية، وبين الأحياء الفلسطينية ذاتها، لتهويد المدينة، وضمان أغلبية يهودية فيها. أما الطوق الخارجي، فيحيط القدس من جهات الجنوب والشرق والشمال، ويتألف من سلسلة مستوطنات تبعد أقصاها نحو 17 كلم عن مركز القدس. وهو ما يشكل حاجزاً مادياً يفصل القدس عن الضفة الغربية، ويمنع أي عودة فلسطينية إليها.<sup>101</sup>

وفيما كان لحزب العمل الدور الرئيس في تأسيس قواعد الاستيطان في القدس، كان لحزب الليكود الدور الأكبر في تطويره وتكثيفه أفقياً ورأسياً. وقد تعاملت الحكومات الإسرائيلية مع منطقة القدس بوصفها منطقة "إجماع قومي"، كما نظر الإسرائيليون إلى المجمعات السكنية، مثل معالية أدوميم وجفعات زئيف، التي تقع على بعد أربعة أميال من رام الله، ولا إلى كتلة غوش عتسيون (تتكون من 16 مستوطنة) والتي هي أقرب إلى الخليل منها إلى القدس، ليس بوصفها "مستوطنات" بالمعنى المعتاد لهذه الكلمة، بل بوصفها تجمعات "اعتيادية" لا تختلف عن مثيلاتها من التجمعات السكنية داخل حدود إسرائيل،<sup>102</sup> يجب أن تبقى تحت السيادة الإسرائيلية.<sup>103</sup>

<sup>101</sup> David Kroyanker, Jerusalem: Planning and Development 1982-1986: new Trends. Jerusalem institute for Israel Studies, Jerusalem, march 1995, p. 82.

<sup>102</sup> Special Report: a Jerusalem Primer, February 1994, p 5, on: Foundation for Middle East Peace website: [www.fmep.org](http://www.fmep.org) ; Allison Hodgkins, the Judaization of Jerusalem, op. cit, pp. 49-50.

<sup>103</sup> Sarah Hiram, A big Knife cutting Jerusalem, the Independent, June 5, 1994.

أما ما أصاب المدينة القديمة داخل الأسوار من التهويد، فيمكن اعتباره من أكثر الممارسات الإسرائيلية تعقيدات وإثارة، وهو ما يقول عنه جيف هاربر: "عشرات الجمعيات اليهودية تنشط "لإنقاذ" - التشديد في الأصل - الأملاك اليهودية في شرقي القدس. ولكن ماذا بالنسبة للأملاك الفلسطينية في غربي المدينة؟ قبل عام 1948 كان حوالي 40 في المائة من الأراضي والمنازل والمباني التجارية ملكا للفلسطينيين، وإذا أضفنا إليها المساحة التي تم ضمها لغربي المدينة بعد عام 1948 تصبح النسبة 68 في المائة. إذا كان لليهود حق باسترجاع ممتلكاتهم التي كانت لهم قبل عام 1948 فلماذا يحظر على الفلسطينيين أن يستعيدوا أملاكهم في الطالبية والحي الألماني والبقعة والمالحة وعين كارم وغيرها من الأماكن؟".<sup>104</sup>

وبحسب تقديرات وضعها مركز القدس للدراسات الاستراتيجية (مقدس) فإنه، وإذا استمرت سياسة الاستيطان اليهودي المكثف في القدس لمدة عشر سنوات قادمة مثلاً، وإذا ما رافق ذلك هجرة معاكسة من الجانب الفلسطيني في المدينة إلى مناطق أخرى مجاورة - كما يحدث حالياً - سيؤدي الأمر بالتأكيد إلى جعل السكان الفلسطينيين أقلية ضئيلة لا تشكل أكثر من 5 بالمائة من المجموع الإجمالي للسكان، وهو ما يحقق شعار "الاستيطان في كل أنحاء أرض إسرائيل" من جهة ونشر التواجد اليهودي في جميع أنحاء المدينة إلى حيز التنفيذ، مقابل طمس معالمها التاريخية والدينية، وبالتالي إسقاط أية إمكانية لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية العتيدة.

ويشير تفكجي الى عاملين يجعل تهويد القدس القديمة ذات أولوية بالنسبة للحكومة الإسرائيلية وهما، أولاً: ان القدس القديمة باتت الملجأ لآلاف الفلسطينيين الذين عادوا الى المدينة في أعقاب شروع إسرائيل في بناء جدار الفصل في محيط مدينة القدس، أما العامل الثاني: فهو ديني حيث أن الخطوات الإسرائيلية بدأت تتسارع في تهويد القدس القديمة وبخاصة في منطقة الحي الإسلامي الذي تم استهدافه بشكل خاص من خلال

---

<sup>104</sup> جيف هالبر، بين القانون والعدالة، كول هعير، 2002/4/26. أنظر مقالة عن تلك الأملاك في صحيفة (العرب اليوم)، 1999/8/12.

مخطط بلدية القدس الغربية الجديد، ومن قبل المؤسسات الدينية بالمدينة، وخاصة في الحي الإسلامي، وكذلك التضييق على مؤسسة الأوقاف الإسلامية، وهو ما اعتبره المهندس عدنان الحسيني مدير أوقاف القدس، الأكثر خطورة منذ الاحتلال الإسرائيلي عام 1967\*.

على أن تلك الجهود الاستيطانية المتسارعة لم تتوقف بمؤتمر السلام الذي انعقد في مدريد 30 أكتوبر -2 نوفمبر 1991 ولا بتوقيع "اتفاقيات السلام" بين الحكومة الإسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية، في واشنطن في 13 سبتمبر 1993، بل بالعكس، فقد كانت سبباً في تسريعها، وهو ما يتضح بجلاء في حجم المشاريع الاستيطانية التي طرحت للقدس، وفي عدد المستوطنين في القدس حيث ناهز عددهم في القدس الشرقية وحدها، عددهم في كل الضفة الغربية وقطاع غزة، أما في البلدة القديمة فإن عدد اليهود في "حارة اليهود" بلغ 8,232 نسمة، وهي ولا شك نسبة كبيرة بالنسبة لأعدادهم في السابق داخل المدينة.\*\* كما ارتفع عددهم في الأحياء الإسلامية والمسيحية والأرمنية في الفترة 1983-1995 حوالي 400 نسمة ويبلغ مجموعة 900 نسمة (500 في الحي الإسلامي و100 في الحي الأرمني).

يقول امنون كابيلوك "إن عملية تهويد القسم العربي للمدينة المقدسة، التي تم ضمها لإسرائيل غداة حرب 1967، مع مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية، تمتد اليوم بين رام الله في الشمال وبيت لحم في الجنوب، والقرى الفلسطينية في الشرق، كانت ممارسة شائعة للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة. ثم ما لبثت أن بدأت، دون توقف أو إبطاء، موجة بناء أحياء استيطانية جديدة مخصصة لسكن اليهود فقط، وانتشرت

---

\*شبكة الانترنت للإعلام العربي "أمين"، على الصفحة الرئيسية:

www.amin.org (visited on 16/9/2004)

\*\*المصدر نفسه. تشير مصادر أخرى إلى أن العدد لا يتعدى 4000 يهودي داخل حارة اليهود ويشكلون 12% من مجموع السكان في البلدة. أنظر نداف شراغي (إعداد). "أرقام وحقائق عن البلدة القديمة في القدس: موجز تقرير لجنة لابيروت"، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع51، صيف 2002، ص 80.

فوق الأراضي العربية المصادرة في المدينة، بطريقة تؤدي إلى تطويق الأحياء العربية<sup>105</sup>. كما لم تتوقف أعمال الاستيطان والمصادرة والتطويق أثناء الانتفاضة الفلسطينية، بل يلاحظ أنها زادت، من ذلك مثلاً، قيام السلطات الإسرائيلية بإقامة سياج جديد حول القدس والضفة الغربية، لدواعي أمنية. وعن ذلك السور الجديد، يقول خليل تفكجي خبير الاستيطان: "لدي شارون مخطط واضح بالنسبة للقدس، وهو يتخذ من الحجج الأمنية فرصة لبناء سياج حول الأراضي الفلسطينية، والقدس خاصة، كوسيلة لعزل القدس عن محيطها وخلق ما يسمى بالقدس الكبرى، ومثال على ذلك ضم معاليه زئيف ومعاليه أدوميم إلى القدس، بينما يتم بناء أحياء يهودية داخل الأحياء الفلسطينية وفي محيطها، بحيث تبدو تلك الأحياء صغيرة منعزلة ضمن أحياء يهودية"<sup>106</sup>. "كل ذلك يحدث ضمن رؤيا لقدس كبرى تتوسع سياسياً وجغرافياً إلى داخل الضفة الغربية، وإلى ما هو أبعد حتى من المناطق التي ضمت في يونيو 1967"<sup>107</sup> كما يقول جيفري أرونسون.

يشار هنا إلى أن السلطات الإسرائيلية تعتمد في ذلك على قرارات الضم الإسرائيلية، المخالفة لقواعد القانون الدولي، وقرارات مجلس الأمن واتفاقات جنيف. وما تم الاتفاق عليه، في "إعلان المبادئ" الموقع بين الطرفين، والداع إلى عدم القيام بأية أعمال من شأنها تغيير وضع القدس، أو التأثير على المفاوضات النهائية بخصوص القدس.<sup>108</sup> في محاولة منها لخلق وقائع جديدة على الأرض تضمن تهويد القدس، وتستبقي أي حل قد يلوح في الأفق أو تفرضه المفاوضات القائمة بشأن القدس.

إن التغييرات الهيكلية العميقة التي أحدثتها إسرائيل عبر الجهد الرسمي وغير الرسمي، في القدس، وعلى مدي أكثر من 38 عاماً، معتمدة سياسة الهدم والبناء وإعادة التشكيل

<sup>105</sup> أمنون كابليوك، القدس بين الوحدة والانقسام، القدس 1999/4/12.

<sup>106</sup> مقابلة مع خبير الاستيطان خليل تفكجي، تليفزيون الجزيرة، الساعة الثانية ظهراً، يوم 02/6/16.

<sup>107</sup> Special Report: a Jerusalem Primer, February 1994, p 8, on: Foundation for Middle East Peace website: [www.fmep.org](http://www.fmep.org)

<sup>108</sup> أنظر إعلان المبادئ، والرسائل المتبادلة بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي.

والتخطيط، قد ألحقت ضرراً بالغاً في حياة الفلسطينيين، كما أحدثت تغيراً جوهرياً في الطبيعة الديموغرافية والحضارية للمدينة، وهو ما ينتهك القرارات الدولية بحق القدس، ويضع مصيرها في يد التعصب الديني والقومي الأعمى، والذي سيقود المنطقة حتماً إلى نهايات مؤلمة.

إن المراهنة على المجتمع الدولي أو العملية السلمية وأنهما الكفيلان بإعادة الوضع لما كان عليه عشية حرب حزيران 1967 هو اعتقاد ساذج بحسب خبرة الخمسين سنة السابقة، فالسلام في حد ذاته قيمة عليا لا ينبغي ولا يجوز إنكارها، ولكنه من الناحية الواقعية ما زال بعيد عن المرتكزات الفعلية المستندة إليها مسيرة التسوية السياسية للصراع العربي - الإسرائيلي، وخاصة فيما يتعلق بالقدس التي يمثل رحيل الاحتلال روح السلام العادل والدائم.

على ضوء ذلك تتضح الحاجة الملحة لوقف هذا التغول الإسرائيلي على المدينة من خلال:

— الثقة الكاملة في قدرة الجماهير الفلسطينية والعربية في خوض معركة المقاومة ضد الاحتلال، مع تنويع وسائل المقاومة، الايجابية والسلبية، ضمن رؤية وطنية شاملة للتححرر والاستقلال.

— توفر إرادة سياسية للوقوف في وجه هذا الزحف والتهويد، من خلال فرض وتسريع الوقائع الفلسطينية على الأرض.

— وضع المخططات والاستراتيجيات المناسبة لتنفيذ هذا الهدف.

— تجنيد الأموال اللازمة لبناء ما يقارب خمسين ألف وحدة سكنية في القدس العربية ومحيطها، وترميم المباني وتطويرها.

— دعم خط المقاومة والنضال الشعبي بخطة موازية للتنمية الشاملة، الاجتماعية والاقتصادية وتحسين شروط السكن.